بمناسبة عيد
القيامة المجيد

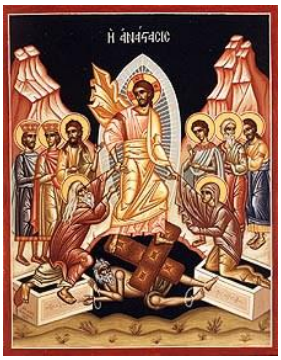

إيمان الرسل بقيامة الرأس وتبشيرهم لأجل التئام الجسد

للقديس أوغسطينوس(١)

السلام الحقيقي وشفاء جرح عدم الإيمان

«وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ!» (لو ٢٤: ٣٦). هذا هو السلام الحقيقي وتحية الخلاص. وماذا يكون أفضل من أن الخلاص نفسه يُلقي بالسلام على الإنسان! لأن المسيح هو خلاصنا، ذاك الذي جُرح لأجلنا وسُمِّر على الخشبة، ولما أنزلوه منها وضعوه في القبر، ثم قام من القبر وقد شُفيت جروحه مع بقاء آثارها في جسده مما كان يناسب تلاميذه لأن بها كان ينبغي أن تُشفى جروح قلوبهم. أيَّة جروح؟ جروح عدم الإيمان. لأنه ظهر أمام عيونهم بجسد حقيقي وهم ظنوا أنهم نظروا روحًا. وهذا الجرح في القلب لم يكن جرحًا خفيفًا، فمن يدوم فيه هذا الجرح يظل هو في انحراف خبيث.

ولكن هل نفترض أن التلاميذ لم يُجرحوا لأنهم شُفوا سريعًا؟ افترضوا فقط، يا أحبائي، أن هذا الجرح - الذي هو ظنهم أن الجسد الذي دُفن لا يمكنه أن يقوم ثانيةً - قد استمر فيهم، وأنهم ظنوا أن روحًا على هيئة جسد خدعت عيونهم الجسدية، فإنه كان يُرثى لا لجرحهم بل لموتهم الروحي!!

«فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟» (لو٢٤: ٣٨) فإذا كانت الأفكار تصعد إلى قلوبكم، فهذا معناه أنها تأتي من الأرض، ولكن من الأفضل للإنسان ليس أن الفكر يصعد إلى قلبه بل أن قلبه ذاته يصعد إلى أعلى حيث يريد الكتاب على لسان بولس

---

(١) عظات ق. أوغسطين على الأناجيل، عظة ٦٦ على لو٢٤: ٣٦.
Nicene & Post-Nicene Fathers, Vol. VI.

الرسول أن يضع المؤمنون قلوبهم إذ قال: «فَإِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (كو ٣: ١-٤)، في أي مجد؟ مجد القيامة. فإن الرسول يقول عن هذا الجسد: «يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ» (١كو ١٥: ٤٣). هذا المجد لم يشأ الرسل أولًا أن ينسبوه لسيدهم ومسيحهم، لأنهم لم يؤمنوا بعد أن جسده يمكنه أن يقوم من القبر. لقد ظنوا أنهم نظروا روحًا رغم أنهم رأوا جسده ولم يصدِّقوا ما رأته عيونهم. ومع ذلك، فنحن قد صدَّقنا ما بشرونا به مع أنهم لم يُظهروا لنا الرب. إنهم لم يصدِّقوا المسيح الذي أظهر لهم نفسه، يا للجرح الخبيث! فلتُشفهم العقاقير التي هي آثار جروح الرب: «انْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ (حيث دُقّت المسامير) إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا (ولكنكم تنظرون ومع ذلك لا تنظرون) فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي، وَحِينَ قَالَ هذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ» (لو ٢٤: ٣٩و٤٠).

«وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمُتَعَجِّبُونَ» (آية ٤١)، فقد كان لهم فرح بالفعل، ومع ذلك فقد ظلوا متردِّدين لأن شيئًا لا يُصدَّق قد حدث. والآن، قد آمن العالم كله وتطهَّر بهذا الإيمان، أما من لم يؤمن فقد بقيَ في نجاسته. لقد دُعيَ التلاميذ إلى الإيمان ليس بعيونهم فحسب بل أيضًا بأيديهم، وذلك لكيما بواسطة حواس الجسد يحلُّ الإيمان في قلوبهم ثم يُكرَز به في العالم للذين لم يروا ولا لمسوا، ومع ذلك فقد آمنوا دون أن يشكُّوا.

«وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ ... قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ ههُنَا طَعَامٌ؟» بأي مقدار ينبغي على "باني الكل" أن يظل يبني صرح الإيمان؟ إنه لم يجُع، ومع ذلك فقد طلب أن يأكل، وأكل بفعل قوته وليس عن ضرورة! إذن، فليتعرَّف التلاميذ على حقيقة جسده الذي تعرَّف عليه العالم بكرازتهم!

ظهر لهم رأس الجسد ووعدهم بالجسد:

لقد أظهر نفسه لتلاميذه ذاك الذي هو رأس كنيسته. لقد رأى هو الكنيسة مسبقًا منتشرة في العالم، أما تلاميذه فلم يروها بعد. لقد أظهر لهم رأس الكنيسة ووعدهم بجسدها

لأنه قال بعد ذلك: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ» (لو٢٤: ٤٤)، وما معنى "وأنا بعد معكم"؟ ألم يكن معهم عندما كان يقول لهم ذلك؟ معناه: كنتُ معكم كقابل للموت، أما الآن فلستُ كذلك، إذ إنني لن أموت مرةً أخرى إلى الأبد.

«هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ، أَنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ، حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ» (عدد ٤٤و٤٥). تعالَ إذًا يا رب واستعمل مفاتيحك وافتح لنا لكي نفهم. ها أنت تخبر بكل شيء ومع ذلك لم يؤمن بك أحدٌ، ورغم أنهم لمسوك فقد ظلوا حيارى متردِّدين. إنك تُذكّرهم بالأسفار المقدسة إلَّا أنهم لم يفهموك. إن قلوبهم مغلّقة، فافتح وادخل. وقد فعل إذ "فتح ذهنهم ليفهموا الكتب". والآن يا رب افتح قلب كل من يشكّ فيك، افتح إدراك من لا زال يظن أن المسيح مجرد شبح!

وما هو الذي فتح ذهنهم ليفهموه؟ «قَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ» (عدد ٤٦). لقد رآه التلاميذ وهو يقاسي الآلام، ورأوه وهو معلَّق على الصليب، ثم رأوه في وسطهم حيًّا بعد القيامة، فما هو إذن الذي لم يروه؟ الجسد الذي هو الكنيسة. لقد رأوا العريس، أما العروس فلا زالت مختبئة. «هكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم». هذا هو العريس، فماذا عن العروس؟ «وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ» (عدد٤٧). وهذا ما لم يره التلاميذ بعد. لم يروا بعد الكنيسة منتشرة في جميع الأمم ابتداءً من أورشليم. لقد رأوا الرأس واعتقدوا أنها لا بدَّ أن تكون ملتصقة بالجسد، إذن، فما رأوه جعلهم يؤمنون بما لم يروه بعد. ونحن أيضًا نشبههم، فها نحن نرى ما لم يروه ولا نرى ما هم رأوه. ها نحن نرى الكنيسة في جميع الأمم وهم رأوا المسيح حاضرًا معهم بالجسد. فكما رأوه هم وآمنوا بخصوص الجسد هكذا نحن نرى الجسد فلنؤمن بخصوص الرأس. ليت ما رأيناه بعدهم يعيننا، لأن منظر المسيح أعانهم على الإيمان بالكنيسة المزمعة أن تكون، هكذا أيضًا منظر الكنيسة أمامنا يعيننا على الإيمان بقيامة المسيح.

إن إيمان التلاميذ قد كمل بمنظر الرأس أمامهم، وإيماننا نحن أيضًا قد كمل بمنظر

الجسد الذي أمامنا. لقد صار المسيح معروفًا لهم بالكامل مع أنهم لم يروه بالكامل، وقد صار معروفًا لنا نحن أيضًا مع أننا لم نره بالكامل. إذن، فلا هم ولا نحن صرنا معوزين إلى المسيح. لقد صار المسيح كاملًا في الجميع رغم أن جسده لم يكن قد كمل حتى ذلك اليوم الذي رأوه فيه قائمًا. لقد آمن التلاميذ وبواسطتهم آمن الكثير من سكان أورشليم واليهودية والسامرة. إذن، فلتلتحم بقية الأعضاء في الجسد وليرتفع البناء فوق الأساس «فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ» (١كو٣: ١١).

آلام الكنيسة أدَّت إلى بنيانها كما قام المسيح بعد آلامه:

اليهود في هياجهم الجنوني رجموا استفانوس، وكان شاول يحفظ ثياب الذين رجموه، ولكن شاول صار بعد ذلك هو الرسول بولس. فليُقتل استفانوس ولتتشتت كنيسة أورشليم وهي مرتبكة، ولكن فلتنبثق منها شعلات ملتهبة وتنشر لهيبها، لأن كنيسة أورشليم كما لو كانت فيها شعلات تلهبها نار الروح القدس عندما كان للجميع نفس واحدة وقلب واحد نحو الله (أع٤: ٣٢). وعندما رُجم استفانوس قاست جماعة المؤمنين من نار الاضطهاد وتشتتت الشعلات واضطرمت النار في العالم كله.

عندما كان شاول منشغلًا بتلك المخططات الهوجاء، أخذ رسائل من رئيس الكهنة وبدأ رحلته في هياجه العنيف وهو «ينفث تهدُّدًا وقتلًا»، متعطشًا إلى الدماء لكي يقيِّد كل من يستطيع إليه سبيلًا ويُسرع إلى عقابه وفي أي مكان يصل إليه لكي يُشبع نفسه بسفك دمائهم. ولكن أين كان المسيح الذي كلَّل استفانوس؟ فليهتم الآن بشاول ويسخر من غيظه ويدعوه من السماء: «شَاوُلُ، شَاوُلُ، لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» (أع٩: ١-٤) إنني في السماء وأنت على الأرض ومع ذلك **فأنت تضطهدني أنا**. هذا هو الرأس وهذا هو الجسد. إنك لم تلمس جسدي ولكنك تطأ على أعضاء جسدي بقدميك. ماذا تفعل؟ وما هو الذي تربحه من ذلك؟ «صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ»! أرفس كما تريد فأنت تؤذي نفسك وحدك. ولكن الآن اترك غيظك هذا وعُد إلى صوابك. دع المشورة الشريرة جانبًا واسعَ إلى نجدة صالحة لنفسك. بهذا الصوت سقط المضطهِد على الأرض، فقد قهرته كلمة واحدة. ما هو الذي تجري وراءه يا شاول؟ إلى أين يجرُّك غيظك؟ إن الذين كنتَ

تبحث عنهم ها أنت الآن يا بولس تسير معهم، والذين كنتَ تضطهدهم ها أنت تُقاسي الاضطهاد معهم ومن أجلهم. لقد أقام الرب المضطهِد الذي سقط على الأرض ليصير مبشِّرًا! لقد سمع صوت الرب وعميت عيناه ولكن بالجسد فقط لكي ما يستنير في قلبه. فقد جاء الرب بحنانيا إليه فعمَّده وانفتحت عيناه وصار رسولًا!

تكلم، إذًا، يا بولس وبشّر بالمسيح وانشر تعاليمه يا قائد الغنم الصالح بعد أن كنتَ ذئبًا. ألا ترون ذاك الذي كان هائجًا؟ إنه الآن يقول: «فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤)! أُنشر الإنجيل، أنشر بفمك ما أدركته وصوَّرته في قلبك. ولتسمع الأمم ولتؤمن وليتكاثر المؤمنون، ولتنبثق العروس الأرجوانية (أي الكنيسة) من دم الشهداء. والآن، كم هم الذين جاءوا منها فعلًا؟ كم هم الأعضاء الذين التصقوا بالرأس وظلوا ملتصقين به بإيمانهم! لقد تعمَّدوا وتعمَّد الكثيرون ممن أتوا وسيأتون بعدهم. وفي نهاية العالم سيتم التحام هذه الحجارة الحيَّة كلها بالأساس حتى يتم أخيرًا بنيان صرح الكنيسة كله الذي يرتل الآن تسبحة جديدة أثناء عملية البناء. لأنه عندما كان بيت الله يُبنى بعد سبي شعب الله في القديم يقول المزمور: «سبحوا الرب تسبيحًا جديدًا سبحي الرب أيتها الأرض كلها» (مز ٩٦: ١). أي بيت عظيم هذا! ومتى يُسَبِّح التسبحة الجديدة؟ في الوقت الذي يُبنَى فيه. ومتى يُدشَّن ويُكرَّس؟ عند نهاية العالم. لقد دُشِّن أساسه فعلًا لأنه صعد إلى السماء ولن يسود عليه الموت بعد. وعندما نقوم نحن أيضًا لكي لا نموت ثانيةً فحينئذٍ سيكمل تدشيننا وتكريسنا للرب إلى الأبد.

دير القديس أنبا مقار **صدر حديثًا** **(كود ٢٠٤١)**

مقدِّمات الأسفار المقدَّسة

من سفر التكوين إلى سفر إرميا النبي

إعداد المتنيِّح القس يوحنا المقاري **(٤٢٤ صفحة)**